الفصل الرابع: منهج أبي مزيريق في تفسير آيات العقيدة والأحكام الفقهية والدعوية

قام الباحث في هذا الفصل بدراسة لمنهج أبي مزيريق في العقيدة والفقه؛ وذلك من خلال دراسته لبعض الآيات المتعلقة بالعقيدة والفقه في إرشاد الحيران، كما تحدث في المبحث الثالث عن منهج المفسر في الدعوة والإصلاح، والذي خصص له أبو مزيريق جانباً كبيراً من تفسيره، فلا يكاد يخل موضع من تفسيره من دعوة للناس وإرشادهم ونقد ما عليه بعضهم من خطأ وبُعْدٍ عن الطريق المستقيم؛ بل لعل هذا هو الغرض الأساسي من تفسيره للقرآن الكريم، الذي نستشفه من تسميته بـ "إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن" فهذا القرآن دستور الحياة الذي أنزله الله تعالى هداية للعالمين وإرشاداً للسالكين، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

المبحث الأول: منهج أبي مزيريق في تفسير آيات العقيدة، مع بيانه لبعض المخالفات التي يقع فيها العوام، وإسقاطه لبعض الآيات القرآنية على قضايا معاصرة في العقيدة.

المقصود في هذا المبحث دراسة آراء المفسر في بعض قضايا العقيدة، التي تعرض لها في تفسيره، التي من خلالها يتعرف القارئ على منهجية الشيخ في العقيدة، سيتناول الباحث في هذا المبحث، بعض قضايا العقيدة من خلال تفسيره للآيات الدالة عليها مثل: تفسيره لمعنى الإيمان بالله، موقفه من علم الكلام والفلسفة، وتفسيره لبعض آيات الصفات، والنقد لما عليه عوام الناس من الأخطاء في العقيدة محذراً من بعض العادات المخالفة للعقيدة، الايمان بالغيب، الولاء والبراء.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

-تمهيد

يولي الشيخ أبو مزيريق مسألة العقيدة اهتماماً كبيراً، وذلك لمكانة العقيدة في الاسلام، فالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة وهو يعالج ويصحح عقائد الناس، وهذا مبدأ جاءت به الشريعة الغراء، فالله ﷻ يقول في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْماً عَظِيماً ۝﴾(403)، فمكانة العقيدة في الاسلام كالروح من الجسد، فالعقيدة أساس لكل عمل، فأعمال البر والخير من غير عقيدة صحيحة، لا فائدة منها؛ لقوله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾(404)، والشاهد من هذه الآية قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فمن غير الإيمان لا فائدة من العمل الصالح، فالإسلام شرط لقبول العمل الصالح والإثابة عليه في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلاَ يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۝﴾(405)، وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝﴾(406)، والآيات والأحاديث كثيرة في بيان شأن العقيدة، والمؤلف رحمه الله يعلم هذا الأمر ولذلك أولاها أهمية كبيرة، وقد سار المفسر على منهجيته التي بينها في مقدمته؛ وهي عدم الخوض في التفاصيل الكثيرة والخلاف بين العلماء؛ فجاء تفسيره بأسلوب واضح سهل.

---

(403) القرآن. النساء 4: 47.

(404) القرآن. النحل 16: 97.

(405) القرآن. التوبة. 9: 54.

(406) القرآن. النور. 24: 38.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المطلب الأول: معنى الإيمان بالله

قال المفسر في بيان معنى الإيمان عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[407]، الإيمان المكلف به الإنسان المترتب عليه الثواب والعقاب في الآخرة؛ هو الإيمان الشرعي الذي يأتي به الرسل من عند الله ﷻ، ثم قال: وهذه الآية دلت على أن معرفة هذه المراتب الأربع من ضروريات الإيمان؛ المرتبة الأولى: هي الإيمان بالله سبحانه، لأن صدق المبلّغ والرسول يتوقف على وجود المبلّغ والمُرسِل، المرتبة الثانية: الإيمان بالملائكة، فإنهم وسائط بين الله وبين البشر ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾[408]، ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾[409]، المرتبة الثالثة: الإيمان بالكتب فإنه الوحي الذي يتلقفه الملَك ويوصله إلى النبي والرسول، المرتبة الرابعة: الإيمان بالرسل فهم الذين بلغوا البشر وأعلموهم كيفية العمل بها، ذكر هذه الأقسام الأربعة المذكورة في الآية الكريمة، ثم أردف ذلك بقوله: ولا إيمان لمن لم يعترف بالبعث بعد الموت وبالحساب بعد الموت[410].

يتبين لنا مما سبق أن المفسر سار على ما قرره في مقدمته من أنه سلك مسلك الإيجاز وترك الإطناب والتوسع في الآراء والخلاف الحاصل بين الطوائف المختلفة.

---

(407) القرآن. البقرة 2: 284.

(408) القرآن. النحل 16: 2.

(409) القرآن. النجم 53: 5.

(410) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 2، ص78: 79.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المطلب الثاني: موقفه من الفلاسفة

كما بين الباحث سابقاً؛ فمنهجية المفسر تعتمد على الوضوح وترك التشعبات التي تذهب بروح القرآن الكريم؛ التي من أجلها أنزله الله ﷻ هداية للناس ودستور حياة، فلهذا نجده يسلط نقده للفلاسفة ومن تبعهم من علماء الكلام، فيقول: ولقد تورط الفلاسفة الإلهيون ومن نهج بنهجهم من أصحاب الكلام في هذا الموضوع، فحصل بينهم نزاع أدى بهم إلى خلافات ومناقشات، أدت بهم إلى ضلالات وترهات تباعدت بهم عن الحق الذي يجب أن يكون هو الهدف الأسمى دائماً.(411)

يرى الشيخ أبو مزيريق أن سبب ذلك الاختلاف هو اتباع الهوى، وترك المنهج الصحيح منهج القرآن الكريم، قال: وتفرق أصحاب الكلام فيما بينهم؛ نتيجة البحث الفلسفي المضلل، واختلفوا فصاروا شيعاً وأحزاباً، طوائف تتلعن بعضهم بعضاً، وتفسق بعضهم بعضاً؛ كل يرى نفسه على الحق، وغيره على الباطل، حكماً بالهوى دون الرجوع إلى الحق، بعد أن بين سبب الخلل عند بعض طوائف علماء الكلام رجع على الفلاسفة الذين يرى بأنهم سبب الضلال والبعد عن الحق فقال: وتخبطات وشطحات الفلاسفة أدهى وأمر، فلا تجد واحداً منهم وافق الآخر، وإنما لكل واحد منهم وجهته وآراؤه، حتى تعددت الآراء وتنوعت الأوهام، ثم يشير إلى شيء من هذا الكلام، بأن يبحث في التاريخ عن أقوالهم وآرائهم وخلافاتهم، سيجدها واضحة بينة، وذلك في كتب أصحاب الكلام ومن سار على منهجهم من بعض أصحاب كتب التفسير ، حتى غطت هذه الآراء المنهج الواضح، والطريق المستقيم.

ثم يدعو الناس لمقارنة الآراء في هذه الكتب، بما تجده واضحاً بيناً في كتاب الله تعالى دون لبس أو غموض:

---

(411) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1، ص40.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

لم يمتحنا بما تعيا العقول به ... حرصاً علينا فلم نرْتب ولم نهمِ[412]

لعل الناظر في كلام المفسر يفهم منه أن الفلاسفة وعلماء الكلام شيء واحد، لكن الواقع والحقيقة عكس ذلك فبين الطائفتين فرق كبير، بل إن صح التعبير بينهما عداء فعلماء الكلام لهم الفضل الكبير في التصدي لأفكار الفلاسفة، خاصة بعد تسرب الفلسفة لعلماء المسلمين، وتأثروا بها وألفوا فيها المصنفات.

دخلت الفلسفة للإسلام عن طريق ترجمة كتب الفلسفة للغة العربية، وكان ذلك في عهد الدولة العباسية عندما اتجهت الدولة لترجمة الكتب غير العربية، وفي هذا الصدد يقول علي سامي النشار: "انتقلت الفلسفة اليونانية إلى العالم الإسلامي، وتابعها بلا شك بعض الإسلاميين فظهر الكندي والفارابي وابن سينا، وابن رشد وغيرهم، وكان عملهم أقرب إلى الشرح والتعليق.[413]

وسرعان ما تنبه علماء المسلمين إلى ما تحمله الفلسفة من مصادمات لما تقرر في الشريعة الإسلامية، وكما ذكر المتخصصون في هذا المجال أن أول من انبرى للرد عليهم هم علماء الكلام، فقد اكتشفوا مدى الهوة السحيقة، والفجوة الكبيرة بين عناصر هذه الفلسفة وبين عقائد الإسلام، فسرعان ما بدأ النزاع بينهم وبين هؤلاء الفلاسفة، ثم انتقل إلى الفلسفة اليونانية نفسها، وبقي النزاع بينهم أمداً بعيداً لم تخمد جذوته، وحين تكون المذهب الأشعري ممثلاً للإسلام قام رجال الأشاعرة الفضلاء كالباقلاني وإمام

(412) المصدر نفسه جـ 1. ص41. والبيت للبوصيري وهو في البردة برقم 47، انظر: د م. 1423 هـ. *العمدة في إعراب البردة قصيدة البوصيري*. (تحقيق): عبد الله أحمد جاجة. دمشق: دار اليمامة للطباعة والنشر. جـ 1. ص100.

(413) النشار، علي سامي. 1995 م. *نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام*. القاهرة: دار المعارف. جـ 1. ص 48.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الحرمين وغيرهما، متابعين شيخ المدرسة الأول بجدل الفلاسفة، وبلغ النقاش ذروته حين أعلن الغزالي تكفير "فلاسفة الإسلام" أنفسهم باسم الإسلام.[414]

وعلى كل فقد تصدى علماء الكلام لأفكار الفلاسفة وبينوا بطلانها، كما صنع الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة، فقد تعرض لكثير من قضاياهم وبين بطلانها مثل مسألة قدم العالم وغيرها من المسائل الأخرى، مما يبين لنا بوضوح الفرق بين الفلاسفة وعلماء الكلام.

المطلب الثالث: حديثه عن العيب ورده على الفلاسفة في زعمهم أن الله ﷻ عالم بالكليات غير عالم بالجزئيات.[415]

بين المفسر في غير موضع من كتابه خطأ الفلاسفة، وذلك بجريهم وراء المغيبات والبحث عنها، ويرى أن هذا نوع من التلاعب بقيم الإيمان والضحك عليه، وسبب ضلالهم، الإعراض عن كتاب الله الذي أنزله ﷻ تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للمسلمين.

فعند حديثه عن قول الله ﷻ ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[416]، قال: وفي هذا التوجيه بيان شامل لعلم الله بكل شيء، ببيان كون مفاتح الغيب عنده وحده لا يشاركه أحد من رسله ولا غيرهم، فإن المخلوق جاهل بذاته لا يمكن أن يحيط علماً بحقائق ماهيات الأشياء التي يحسها، فما غاب عن حسه لا يدركه بحال من الأحوال إلا بإعلام الله إياه، كما هو مقرر في عدة آيات من

---

(414) المرجع نفسه. ج 1. ص 48.

(415) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا. *الاشارات والتنبيهات*. شرح نصير الدين الطوسي. (تحقيق) سليمان دنيا. ط الثالثة. مصر: دار المعارف. ص 295. هذه المسألة ثابتة ومقررة في كتبهم وهي من المسائل التي أخطأ فيها الفلاسفة، وهي قولهم بأن الله ﷻ عالم بالكليات دون الجزئيات، وهذا القول ثابت في مؤلفاتهم، وقد ألف العلماء المؤلفات في الرد عليهم، مثل كتاب *تهافت الفلاسفة* للإمام الغزالي، وكذلك ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل.

(416) القرآن. الأنعام 6: 60.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

القرآن الكريم، مثل قوله ﷻ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝﴾(417). ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾(418)، وتقدم في هذه السورة قوله لرسوله ﷺ: ﴿۞ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾(419)، وذكر بعض الآيات الأخرى لزيادة التوضيح.

وقال في معرض رده على الفلاسفة في عدم علم الله ﷻ بالجزئيات، بعد استشهاده بالآيات السابقة وبقوله ﷻ: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَّرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝﴾(420) "القصد من هذا التوضيح زيادة التعميم في العلم بالجزئيات الدقيقة، فإحاطة العلم بالخفايا مع كونها من أضعف الجزئيات مؤذن بإحاطة العلم بما هو أعظم، وهذه من معجزات القرآن؛ فإن الله علم ما تعتقده الفلاسفة وعلم أن سيقول بقولهم من لا رسوخ له في الدين من أتباع المسلمين، فلم يترك للتأويل في حقيقة علمه مجالا"(421).

إن علم الله بدقائق الأشياء وما يتفرع منها من موجودات يطور في العلم، حتى يصل إلى غاية محددة، ثم يدركه الإعدام فيأخذ في الذبول حتى يتبعثر في مكان ما في ظلمات الأرض، والتفاصيل التي جاءت في هذا الكتاب المبين، تغنينا عن البحث في معنى الكتاب المبين وما هو هذا الكتاب؟ هل هو علم الله؟ أو

---

(417) القرآن. الجن 72: 26، 27.

(418) القرآن. البقرة 2: 253.

(419) القرآن. الأنعام 6: 52.

(420) القرآن. الأنعام 6: 60.

(421) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 4، ص 80.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

هو اللوح المحفوظ؟، فما دام هذا الكتاب الذي أنزله الله على رسوله ﷺ تكفل ببيان ما يحتاج إليه الإنسان من أمر دينه ودنياه، فعلى المسلم الحق أن يأخذ بما فيه من علم وعمل وعقيدة وسلوك.(422)

المطلب الرابع: الولاء والبراء

تحدث المفسر على هذه المسألة واصفاً إياها بأنها من صميم العقيدة الاسلامية، محذراً المسلمين من الركون إلى الكفار، لأنه في بعض حالاته قد يفضي بصاحبه إلى الردة والعياذ بالله، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾(423)، قال: هكذا يجيء الأسلوب على وجه القصر الذي لا يدع مجالاً لتمحل أو تأويل، لأن المسألة مسألة صميم العقيدة، فإما أن تكون الثقة بالله مطلقة فتمتد إلى الرسول بصفة الرسالة، وإلى الذين آمنوا بصفة الإيمان–ليس هذا الإيمان السلبي، إنما هو الإيمان العامل﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ وإما لا تكون الثقة بالله، فيأمل الناس النصر بعون غير عونه، وبولاء غير الولاء لله، ومن ثم فهي قضية الإيمان أو الكفر في هذا المقام.(424)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾(425)، في هذا التوجيه النهي الحاسم والتحذير الصارم، بهذا القرار الجازم يتوجه القرآن إلى الذين آمنوا، في هذا النهي المطلق عن الولاء لليهود

(422) المصدر نفسه. ج 4، ص81.

(423) القرآن. المائدة 5: 57، 58.

(424) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 3، ص368.

(425) القرآن. المائدة 5: 53.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

والنصارى، وعن الاستنصار بهم، والركون إليهم، والثقة بمودتهم، والاعتقاد في قدرتهم على إيصال خير للمسلمين أو دفع أذى عنهم، وسبب النهي هنا هو ما حصل من اليهود في المدينة من نقض للعهود، ولم يقتصر النهي عن اليهود فقط لأن السبب واحد وهو تكذيبهم للرسول ﷺ وعداؤهم للمسلمين، ثم قال والنصارى وإن لم تجيء منهم يومئذ اليهود، فيوشك أن تجيء منهم إذا وجد داعيتها، كما حصل الآن فقد تمالأ اليهود والنصارى على المسلمين بشتى أنواع العدوان، ثم ذكر علة هذا النهي فقال ﷻ: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ فتعصب اليهود لما هم عليه، وتعصب النصارى لما هم عليه، علة مانعة لا تسمح لهم بموالاة الغير، وإنما اتفقوا على معاداة المسلمين؛ لأنهم انحرفوا عن شريعة الله، واتبعوا أهواءهم بغير مقياس يعصم من الزلل ويرد إلى الصواب(426).

– الجمع بين النهي عن موالاتهم، وما ورد من معاملة النبي ﷺ لليهود والنصارى

بين ذلك المفسر في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، فإنه لا يتولى متول أحداً إلا وهو به وبدينه وبما هو عليه راضٍ، وإذا رضيه ورضي به فقد عاد من خالفه وسخطه وصار حكمُه حُكمَه، وهذا الحكم وارد في الموالاة التي يترتب عليها ضرر بالإسلام أو المسلمين من ضعف أو إذلال في الحال أو المآل، أما المعاملة العامة بين المسلمين وغيرهم، فقد بيَّنت حكمَه آية الممتحنة في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾(427)، وقد عامل النبي ﷺ يهود خيبر

(426) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 3، ص372، 373.

(427) القرآن. الممتحنة. 60: 8.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

مساقاة على نخل خيبر[428]، وأحسن إلى من عاملهم من اليهود والنصارى، وأمر أصحابه بأن يحسنوا إلى أهل الذمة، وهذا الأمر واضح من تاريخ المسلمين في عصورهم المختلفة.[429]

يرى الباحث أن المفسر وفق في تناوله لهذه المسألة الهامة والمتعلقة بالعقيدة الإسلامية، فالشريعة الغراء فرقت بين الكافر المحارب وغيره، والآيات واضحة في جواز برهم وهذا خاص بمن ليس بمحارب ولم يظهر عداءه للإسلام والمسلمين مثل المستضعفين كالنساء والأطفال أو ممن بيننا وبينه عهد، وهذا ما تفيده آية الممتحنة، ورجح الطبري أن الآية عامة في كل من اتصف بتلك الصفات قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عز وجل عم بقوله: ﴿الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾ جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضا دون بعض.[430]

المطلب الخامس: الاسماء والصفات

اختلف العلماء في بعض الصفات الواردة في كتاب الله بين التأويل لها أو إثباتها، ومنهج أغلب السلف يقوم على إثبات ما وصف الله به نفسه دون تأويل وهذا ما قرره أئمة السلف، قال ابن تيمية: "ومذهب السلف: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي؛ بل

(428) البخاري، محمد بن اسماعيل. 1422. *صحيح البخاري*. كتاب الشروط. باب إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك. ج 3. ص 192. حديث رقم (2730).

(429) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 3، ص 373.

(430) الطبري. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. ج 23. ص 323.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه؛ لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد، وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله، فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة، فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله منزه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحق للكمال"[431]، ويعدها بعضهم من المتشابه،[432] من مثل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[433] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾[434] ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾[435].

قال السيوطي: "ذهبت طائفة من أهل السنة على أننا نؤولها على ما يليق بجلاله تعالى، وهذا مذهب الخلف وكان إمام الحرمين يذهب إليه ثم رجع عنه فقال: في الرسالة النظامية "الذي نرتضيه دينا

---

(431) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. 1415هـ/1995م. *مجموع الفتاوى* (تحقيق): عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. ج5. ص20.

(432) ليس هذا الكلام على إطلاقه، عند السلف -رحمهم الله- يبين ذلك الشنقيطي حيث قال: "المعلوم أن آيات الصفات كثير من الناس يطلق عليها اسم المتشابه، وهذا من جهة غلط، ومن جهة قد يسوغ؛ كما بينه الإمام مالك رحمه الله بقوله: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب". عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الطويان. 1419هـ/1999م. جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف. الرياض: مكتبة العبيكان. ص257، 258.

(433) القرآن. طه. 20: 4.

(434) القرآن. القصص. 28: 88.

(435) القرآن. ص. 38: 74.

(436) المقدسي، زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي. 1985 م. *أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات*. (تحقيق) شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة. ص 65

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وندين الله به عقدا اتباع سلف الأمة، فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها".[437]

والتأويل عند من يقول به ينبغي أن يكون له وجه يسوغه قال ابن دقيق العيد: " إن كان التأويل قريباً من لسان العرب لم ينكر أو بعيداً توقفنا عنه وآمنا بمعناه على الوجه الذي اريد به مع التنزيه، وما كان من هذه الألفاظ ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب قلنا به من غير توقف كما في قوله تعالى ﴿يَـٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [438]فنحمله على حق الله تعالى وما يجب له"[439].

وذكر ابن العربي ضابطاً له فقال: "والأحاديث الصحيحة في هذا الباب على ثلاث مراتب: **المرتبة الأولى**: ما ورد من الألفاظ كمال محض ليس للآفات والنقائص فيه حظ، فهذا يجب اعتقاده. **الثانية**: ما ورد من نقص محض، فهذا ليس لله فيه نصيب فلا يضاف إليه إلا وهو محجوب عنها في المعنى ضرورة كقوله: "عبدي مرضت فلم تعدني"[440] وما أشبهه، الثالثة: ما يكون كمالاً، ولكنه يوهم تشبيهاً، فأما الذي ورد كمالاً محضاً كالوحدانية والعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر، والإحاطة والتقدير والتدبير، وعدم المثل والنظير فلا كلام فيه، ولا توقف، وأما الذي ورد بالآفات المحضة والنقائص كقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾[441] وقوله: "جعت فلم تطعمني

---

(437) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. 1394هـ/ 1974 م. *الإتقان في علوم القرآن* (تحقيق): محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج 3. ص 15.

(438) القرآن. الزمر 39: 53 .

(439) ابن جماعة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله الكناني. 1410هـ - 1990م . *إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل*. (المحقق) وهبي سليمان غاوجي الألباني. مصر: دار السلام للطباعة والنشر. ص 62.

(440) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. *صحيح مسلم*. (تحقيق) محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. كتاب البر والصلة والآداب. باب فضل عيادة المريض. حديث رقم 2569. ج 4. ص 1990.

(441) القرآن. الحديد 57: 11.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وعطشت[442]" فقد علم المحفوظون، والملفوظون، والعالم، والجاهل أن ذلك كناية، وأنه واسطة عمن تتعلق به هذه النقائص، ولكنه أضافها إلى نفسه الكريمة المقدسة، تكرمة لوليه، وتشريفاً، واستلطافاً للقلوب وتليناً"[443]

قام الباحث بهذه المقدمة الصغيرة إشارة عامة لهذا الموضوع ليبين إلى أي رأي يذهب المفسر، وإلا فإن هذا الموضوع طويل يحتاج دراسة في كتب التفسير والعقيدة وتتبع واستقراء آيات الصفات وبيان أقوال العلماء فيها؛ وهذا بحث طويل ليس مكانه هنا وليس من أهداف هذا البحث، بل قصد الباحث بيان منهجية المفسر فقط.

-دراسة تطبيقية من إرشاد الحيران

تبين لنا مما سبق أن أهل السنة على قولين في تفسير الأسماء والصفات، والمفسر يذهب مذهب التأويل في الصفات، والأمثلة الآتية توضح هذا:

تفسير معنى الكرسي في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[444] قال: الكرسي المضاف إلى الله سعة الملك وإحاطته بجميع مخلوقاته، والكرسي في اللغة ما يجلس عليه الإنسان مرتفعاً بقوائم، ومحاطاً بمستند يختلف باختلاف عادات الناس وأحوالهم[445]، وإلى مثل قول أبي مزيريق ذهب كثير من المفسرين، قال: "كناية عن عظيم

---

(442) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. صحيح *مسلم*. (تحقيق) محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. كتاب البر والصلة والآداب. باب فضل عيادة المريض. حديث رقم 2569. جـ 4. ص 1990.

(443) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري. د ت. *النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم*. عمار طالبي (المحقق) مصر: مكتبة دار التراث. ص 228.

(444) القرآن. البقرة 2: 253.

(445) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 2، ص 8.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

قدرته ونفوذ إرادته، وواسع علمه، وكمال إحاطته" [446]، وقد اختلف العلماء في معنى الكرسي على عدة أقوال، وقد أوله ابن عباس بمعنى العلم، ذكر ذلك عنه الطبري في تفسيره [447].

اليد: في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[448]، قال في تفسير اليد: "هنا يبين سوء معتقد اليهود وخبث طويتهم، والغرض منه اظهار فرط التنافي بين ما عليه اليهود من الدين، وبين ما عليه أهل الحق من المسلمين، وهذا قول اليهود الصرحاء غير المنافقين، ومعنى يد الله مغلولة: الوصف بالبخل في العطاء، وقول اليهود هذا حكي القرآن مثلهم ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[449]... وقال في قوله تعالى: ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ عبارة اليدين تعني سعة الجود مع الدقة والضبط المقصود، لا كما يقول الناس "فلان بلا كيل"، وإنما ينفق كيف يشاء بسطاً وتقديراً".[450]

الاستواء: في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[451]، قال: "ثم استوى على العرش تعبير عن شأن عظيم من شؤون عظمة الخالق سبحانه وتعالى، اختير التعبير عنه عن طريق الاستعارة والتمثيل؛

---

(446) أبو زهرة. *زهرة التفاسير*. ج 2. ص 940.

(447) ذكر الطبري عدة أقوال في معنى الكرسي، تراجع في محلها لمن أراد التوسع في هذا الموضوع. الطبري. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. ج 5. ص 397.

(448) القرآن. المائدة 5: 67.

(449) القرآن. آل عمران 3: 181.

(450) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 3، ص 380.

(451) القرآن. الأعراف. 7: 53.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

لأن معناها أقرب معاني المواد العربية إلى المعنى المعبر عنه من شؤونه تعالى، فإن الله أراد تعليم معان من عالم الغيب لم يكن يتأتى ذلك في اللغة إلا بأمثلة معلومة من عالم الشهادة فلم يكن بد من التعبير عن المعاني الغيبية بعبارات تقربها مما يعبر به عن عالم الشهادة؛ ولذلك يكثر في القرآن ذكر الاستعارات التمثيلية والتخييلية في مثل هذا". (452)

من خلال هذه الأمثلة يتضح لنا منهجية المفسر في تناوله آيات الصفات، فهو يتجنب الخوض فيها ولا يتعمق في ذكر الخلافات؛ وإنما يفسرها تفسيراً لغوياً موجزاً، كما سبق في الأمثلة، وهو يسير على طريقة من يرى التأويل.

المبحث الثاني: منهج أبي مزيريق في تفسير آيات الأحكام الفقهية.

سار أبو مزيريق في تفسير آياته الأحكام على منهج وسط، وهو كما قرر في مقدمته؛ فمنهجه يقوم على الاختصار والإجمال في عرض المسائل الفقهية؛ فهو يقرر المسائل على مذهب المالكية، وأحياناً يناقش بعض المسائل في ضوء المذاهب الأخرى ثم يرجح ما يراه راجحاً، كما أنه ضمن تفسيره بعض الاجتهادات في المسائل والقضايا المعاصرة، وسيبين الباحث هنا المذهب الذي اعتمد عليه، والمنهجية التي سار عليها في عرض الأحكام الفقهية، مع ذكر بعض المسائل التي اجتهد فيها أبو مزيريق.

المطلب الأول: المذهب الذي سار عليه في استخراج الأحكام الفقهية

اعتمد المفسر على مذهب الامام مالك في تناوله للمسائل الفقهية، وهو المذهب السائد في ليبيا وبلاد المغرب العربي، ومع ذلك يشير أحياناً إلى أن في المسألة قول غير الذي ذكره دون أن يفصله، بل يكتفي بقوله هناك صفات أخر أخذ بها باقي الأئمة، والأمثلة في الكتاب كثيرة نذكر منها:

---

(452) أبو مزيريق، أحمد عبد السلام. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 4، ص 343.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

في حديثه عن كيفية صلاة الخوف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾[453]، فقال: هذه كيفية صلاة الخوف في ميدان المعركة؛ بأن يقسم الإمام الجيش طائفتين، طائفة تقف مع الامام يصلي بها الركعة الأولى، ويقف الامام للركعة الثانية، ويقف معه المصلون غير أن الإمام يبقى قائماً، والمصلون خلفه يتمون الركعة الثانية بأنفسهم ويتمون ويسلمون لتمام صلاتهم، ثم يذهبون إلى صف القتال، فتأتي الطائفة الأخرى التي لم تصل فتكبر وتدخل على صلاة الإمام ليتمم بهم غير أن الإمام يسلم لتمام صلاته بالركعة الثانية، والمصلون خلفه يتممون صلاتهم بعد سلام الإمام مثل المسبوق في الصلاة العادية، وهذه الصفة هي التي أخذ بها الإمام مالك، وهناك صفات أُخَرُ أخذ بها بقية الأئمة.[454]

(453) القرآن. النساء 4: 101.

(454) أبو مزيريق. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 3، ص 143.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

هذه هي صفة صلاة الخوف كما هي مقررة عند المالكية في كتبهم[455]، وهي الصفة المأخوذة عن النبي ﷺ وقد ثبت أنه ﷺ صلاها في غزوة ذات الرقاع[456]، رواه البخاري في صحيحه[457].

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَاذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾[458]، قال المفسر: "الإفاضة من عرفات الخروج منها بعد أداء الركن المهم في الحج، وهو الوقوف بعرفة ليلة العاشر من ذي الحجة، ويومها يسمى يوم عرفة وهو اليوم التاسع، فالوقوف ليلاً هو الركن، أما الوقوف نهاراً فهو واجب ينجبر بالدم[459] كما قرر في مذهب مالك".[460]

يتبين مما سبق أن المفسر يعتمد مذهب المالكية في تقرير الأحكام الفقهية، ويصرح بذلك عند تناوله للمسائل الفقهية.

---

(455) مالك بن أنس. 1994م. *المدونة*. بيروت: دار الكتب العلمية. جـ 1. ص 240.

(456) كانت هذه الغزوة لتأديب الأعراب القاطنين نجد، ورجح صفي الرحمن المباركفوري وقوعها بعد خيبر، والأغلب أنها وقعت في شهر ربيع الأول سنة 7 هـ. وقد ذكر ابن كثير أقوالاً في سبب هذه التسمية، قال ابن هشام: لأنهم رقعوا فيها راياتهم، ويقال لشجرة هناك اسمها ذات الرقاع، وقال الواقدي: بجبل فيه بقع حمر وسود وبيض، وفي حديث أبي موسى: إنما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق من شدة الحر، وقيل هما غزوتان والمقام هنا يضيق لتحقيق المسألة. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. 1395 هـ - 1976 م. *السيرة النبوية*. (تحقيق): مصطفى عبد الواحد. بيروت – لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع. جـ 3. ص 160. وصفي الرحمن المباركفوري. د. ت. الرحيق المختوم. بيروت: دار الهلال. ص 348.

(457) البخاري. *صحيح البخاري*. كتاب المغازي. باب غزوة ذات الرقاع. جـ 5. ص 113. حديث رقم (4129).

(458) القرآن. البقرة 2: 196.

(459) الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة. د ت. *حاشية الدسوقي على الشرح الكبير*. د م: دار الفكر. جـ 2. ص 36، 37.

(460) أبو مزيريق. 2011. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 1، ص 364.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المطلب الثاني: منهجه في استخراج الأحكام الفقهية

بين المفسر منهجيته في هذا التفسير في مقدمته، حيث قال: "... وفي الأحكام الشرعية ما اتضح دليلها واتحد سبيلها، وتجنبت الخلافات وابتعدت عن الاحتمالات، وتوخيت الوضوح والتوضيح، وابتعدت عن الاشارة والتلميح"(461)، وقد التزم المفسر بهذا إلى حد كبير، والأمثلة الآتية ستبين ذلك.

لا يتعمق في التفسير الفقهي بل هي إشارات ثم يحيل من أراد التفاصيل إلى كتب الفقه، وهذا الغالب عليه في التفسير، وفي أحيان قليلة يفصل المسائل، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾(462)، قال المفسر: "في هذا الكلام تأكيد حكم استقبال بيت الله الحرام، وأنه لا تهاون فيه في كل زمان ومكان تقريرا للحق في نفوس كل من يسمع هذا الكلام، وحكم الاستقبال وكيفيته على طول البلاد وعرضها تكفلنا به كتب الفقه، وكتب الفلك الاسلامي على ضوء ما في كتاب الله، وعلى منهج ما رسم رسول الله ﷺ"(463).

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾(464)، قال المفسر: "سمّى المراضع أمهّات جريا على لغة العرب، وما هنّ بأمّهات حقيقة، ولكنهنّ يَتَنَزَّلْنَ منزلة الأمهات لأنّ بلبانهنّ

---

(461) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1، ص 7.

(462) القرآن. البقرة 2: 148، 149.

(463) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1، ص 289.

(464) القرآن. النساء 4: 23.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

تغذّت الأطفال، ولما في فطرة الأطفال من محبّة لمرضعاتهم محبّة أمّهاتهم الوالدات، وقد أجملت هنا صفةُ الإرضاع ومدّتُه وعدَده اتكالا للناس إلى متعارفهم، وملاك القول في ذلك: أنّ الرضاع إنّما اعتبرت له هذه الحرمة لمعنى فيه، وهو أنّه الغذاء الذي لا غذاء غيره للطفل يعيش به، فكان له من الأثر في دوام حياة الطفل ما يماثل أثر الأمّ في أصل حياة طفلها، فلا يعتبر الرضاع سبباً في حرمة المرضع على رضيعها إلاّ ما استوفى هذا المعنى من حصول تغذية الطفل وهو ما كان في مدّة عدم استغناء الطفل عنه ، ولذلك قال النبي ﷺ «إنّما الرضاعة من المجاعة»[465]، وقد حدّدت مدّة الحاجة إلى الرضاع بالحولين لقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[466]، ولا اعتداد بالرضاع الحاصل بعد مضي تجاوز الطفل الحولين من عمره.[467]

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[468] قال: في هذا التوجيه وجوب الصوم، وهو الامساك عن تناول المفطرات من الأكل والشرب والوقاع من الفجر إلى غروب الشمس، وأحكام الصوم مفصلة في كتب الفقه تفصيلاً وافياً.[469]

يتبين لنا مما سبق أن طريقته في تناول المسائل الفقهية تقوم على الاختصار وعدم الإطناب، وأن التوسع والإطناب محله كتب الفقه، وهذا هو الغالب عليه في تفسير آيات الأحكام، وإن كان في بعض الأحيان يشير إلى المذاهب الأخرى، والمطلب الآتي يبين ذلك.

---

(465) البخاري. صحيح *البخاري*. كتاب النكاح. باب من قال: لا رضاع بعد حولين. ج 7. ص 10. حديث رقم 5102.

(466) القرآن. البقرة 2: 231.

(467) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 2، ص 473.

(468) القرآن. البقرة 2: 182.

(469) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1، ص 344.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المطلب الثالث: منهجه في الخلاف بين المذاهب

يتعرض المفسر أحياناً للخلاف الفقهي ويرجح الرأي الذي يراه راجحاً، وأحياناً يذكر ما يراه راجحاً دون ذكر القول المخالف له، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿حَافِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾[470] قال: والمحافظة المأمور بها، الاهتمام بالصلوات المفروضة، وهي الصلوات الخمس وخص من بينها الصلاة الوسطى، والمعلوم بين العلماء تعيينها بالذات، والمعلوم من مذهب مالك أنها صلاة الصبح، يؤيد هذا المذهب ما يلي: أفضلية الصبح ثابتة بالقرآن والسنة ومدارك الوجدان، ففي القرآن ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾[471]، وفي الحديث الصحيح: «إِنَّ مَلَائِكَةَ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةَ النَّهَارِ يَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ»[472]، ومن إدراك الوجدان كل منا يدرك أن لها مثبطات كثيرة تلهي الإنسان، وأيضاً توسطها بالمعنى الحقيقي ظاهر، لأن وقتها بين الليل والنهار، فالظهر والعصر نهاريتان، والمغرب والعشاء ليليتان، والصبح وقت متردد بين الوقتين، حتى إن الشرع عامل نافلته معاملة نوافل النهار، فشرع فيها الإسرار، وفريضته معاملة فرائض الليل، فشرع فيها الجهر، ومن جهة الوصاية بالمحافظة عليها، هي أجدر الصلوات بذلك، لأن الصلاة التي تكثر المثبطات عنها باختلاف الأقاليم والعصور والأمم، بخلاف غيرها، فإن تشقق الحث على الصلوات الأخرى على طائفة دون أخرى بحسب الأحوال والأقاليم والفصول.[473]

وعند حديثه عن المقدار المحرم من الرضاع في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، قال: "وأمَّا مقدار الرضاع الذي يحصل به التحريم، فهو ما يصدق

(470) القرآن. البقرة 2: 236.

(471) القرآن. الإسراء 17: 78.

(472) البخاري. *صحيح البخاري*. كتاب الأذان. باب فضل صلاة الفجر في جماعة. جـ 1. ص 131. حديث رقم 648.

(473) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 1، ص 437.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

عليه اسم الرضاع؛ وهو ما وصل إلى جوف الرضيع في الحولين، ولو مصَّة واحدة عند أغلب الفقهاء، وأخذ الشافعي بخمس رضاعات مشبعات متفرقات، وقد فُصِّلَ حكم الرضاع في كتب الفقه تفصيلاً واسعاً شاملاً". (474)

وأيضاً تعرض المفسر للخلاف الحاصل بين العلماء في صلاة الخوف؛ هل هي مشروعة لنا، أم أنها خاصة بالنبي ﷺ، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾(475) قال: هذا بيان لما قبله من النص المجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق التفريع، وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة، وتخصيص البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة، لمزيد حاجتها اليه لما فيها من كثرة التغيير عن الهيئة الاصلية، ومن ههنا ظهر لك ان مورد النص الشريف على المقصورة وحكم ما عداها مستفاد من حكمه ﷺ والخطاب لرسول الله ﷺ بطريق التجريد، وبظاهره يتعلق من لا يرى صلاة الخوف بعده، ولا يخفى ان الأئمة بعده نوابه قولاً وفعلاً كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له، كما في قوله تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾(476)

ترجيحه لمذهب الإمام مالك رحمه الله عند حديثه عن البسملة، ذكر أقوال العلماء هل البسملة آية من سورة الفاتحة أم لا؟ بين أن للعلماء فيها ثلاثة أقوال:

الأول: قول الإمام مالك ومن وافقه: البسملة آية من القرآن افتتح الله بها كتابه، وهي الآية الأولى من القرآن، وتكررت في أوائل السور غير سورة التوبة للفصل بينها فقط.

الثاني: قول الإمام الشافعي ومن وافقه: البسملة آية من الفاتحة وتجب قراءتها معها في الصلاة.

---

(474) المصدر السابق. جـ 2. ص 473

(475) القرآن. النساء 4: 101.

(476) القرآن. التوبة. 9: 104.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الثالث: قول لبعض العلماء: البسملة آية من كل سورة غير سورة التوبة.

ثم قال ورأي مالك هو المقبول عند محققي العلماء، لأنه لا يرد عليه الاعتراض الذي ورد على قول غيره.(477)

يتبين لنا مما سبق من الأمثلة أن المؤلف التزم بعرض المسائل الفقهية بطريقة موجزة، وعند تناوله للخلاف الفقهي؛ فإنه يورد بعض الأدلة التي ترجح اختياره دون الخوض في أدلة الرأي الآخر، وإنما يثبت وجهته بالدليل فقط.

وفي بعض المواضع يذكر الأقوال فقط دون ترجيح لقول على آخر مثل حديثه عن العمرة هل هي واجبة أم لا، قال: وقد اختلفوا في وجوب العمرة، مالك وأبو حنيفة قالا بسنيتها، والشافعي وأحمد قالا بالوجوب.(478)

يتبين لنا مما سبق منهج المؤلف القائم على الاختصار وعدم الإطناب في المسائل التي يتناولها، فهو يقرر المسائل على مذهب الإمام مالك -رحمه الله- وإذا كان في المسألة خلاف أشار إليه دون تفصيل فقط ليبين أن المسألة فيها غير هذا القول، وهذه منهجيته التي سار عليها.

المطلب الرابع: موقفه واجتهاداته في بعض القضايا المعاصرة

يرى المفسر أن القرآن الكريم منهج ودستور حياة ينظم لنا حياتهم، ويضبط لهم سلوكهم ويعصمهم من الانحراف والضلال، ويظهر هذا المبدأ جلياً واضحاً في تفسيره، حيث ابتعد عن الخلافات بين المفسرين في كثير من القضايا موضع الخلاف ونأى بنفسه عنها، وأيضاً يتجلى في أسلوبه الاصلاحي النقدي

(477) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1، ص 32.

(478) المصدر نفسه. ج 1، ص 362.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

لكثير مما يراه ويعايشه من تصرفات الناس وسلوكهم، وتعرض لبعض القضايا المعاصرة في الفقه، وسيأتي الباحث ببعض الأمثلة التي توضح منهجيته، سيتكلم عنها الباحث فيما يأتي:

أولاً: أوراق اليانصيب

يانَصيب مفرد، وهو مسابقة سَحْب تجريها مؤسَّسات معيَّنة تعتمد على بيع أوراق تحمل أرقامًا قابلة للفوز بجوائز ماليَّة أو عينيَّة "ربح مبلغًا ماليًّا في اليانصيب".(479)

وهذه التسمية لم تكن موجودة قديمة وإنما لجأ الناس إليها في هذا العصر، وهو من تسمية الأشياء بغير مسمياتها لترويجها بين الناس والتحايل عليهم، كما أطلقوا على الخمر مشروبات روحية، أطلقوا على الميسر اليانصيب، لأن الناس تنفر من الخمر والميسر لعلمهم بحرمتهما، وهذا مصداقاً لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح "لَيَشْرَبَنَّ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا "(480)، وقد ألحق المفسر رحمه الله اليانصيب بالميسر(481) المحرم بنص القرآن الكريم، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴿٢١٩﴾﴾(482)، قال "ومن الغريب أن هذه التسمية موجودة من يدعي الإسلام

---

(479) أحمد مختار عبد الحميد عمر. 2008 م. *معجم اللغة العربية المعاصرة*. د م. عالم الكتب جـ 3. ص 2507.

(480) إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. 2001 م. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. المحقق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون
إشراف، عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة. جـ 29. ص 615. حديث رقم 18073.

(481) الميسر عند الحنفية، والشافعية، والحنابلة: كل لعب على مال يأخذه الغالب من المغلوب كائنا ما كان، إلا ما استثني في باب السبق. سعدي أبو حبيب. 1988 م. *القاموس الفقهي لغة واصطلاحا*. دمشق: دار الفكر. الطبعة: الثانية. ص 309.

(482) القرآن. البقرة 2: 217.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

في كثير من بلدان المسلمين يسمونها "اليانصيب"، وهي أوراق تشترى بثمن معين ولها رقم معين يدفعها في مكان معين لتظهر بعد ذلك في وقت معين رابحة أو خاسرة، وهو نوع من الميسر".(483)

وهذا ليس اجتهاداً خاصاً به ولكن ما عليه أغلب المفسرين المعاصرين من إلحاق اليانصيب بالميسر وتحريمه، يقول الشيخ أبو زهرة بعد حديثه عن الميسر: "ولا شك أن هذا من قبيل ما نسميه اليوم ورق اليانصيب"،(484) وفي التفسير الوسيط الصادر عن مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ومن الميسر ما يعرف الآن بأوراق اليانصيب(485).

ثانياً: "حق وباطل"

هذه من الأمور المستحدثة في هذا العصر، فالناس يقولون "فلان عليه حق"، تحدث بين الأصدقاء في مجالسهم، تجد بعضهم يتصيد الأخطاء ويتوقع منه خطأ ما، يلزمونه بعمل وليمة مثلاً تكفيراً عن الخطأ الذي وقع منه، يرى المفسر رحمه الله بمنعه قياساً على المقامرة، قال عقب حديثه عن الميسر: ويدخل في هذا كل أنواع المقامرة والمراهنة، وما يقال عنه: "حق وباطل" وهو معروف يستعمله جهلاء المسلمين تقليداً لأهل الأديان الباطلة الذين أصبحت حياتهم كلها لهواً وميسراً ولعباً ولهواً، ومجوناً وعربدةً وفسقاً، حمى الله المسلمين من هذا الوباء بما أنزله في كتابه المبين.(486)

ويرى بعض العلماء المعاصرين أن هذا جائز إذا كان القصد منه جبر خاطر الشخص المظلوم،

---

(483) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1، ص 394.

(484) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد. د ت. *زهرة التفاسير*. د م. دار الفكر العربي. ج 2. ص 707.

(485) د م. 1993 م. *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. "مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر". القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية. ج 3. ص 1153.

(486) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1، ص 394، 395.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

من باب الإصلاح بين الناس، وهو رأي الشيخ عبد الله الفقيه الشنقيطي[487]، حيث قال: فإن كان القول المذكور (عليك حق) القصد منه أن مخاطبه أغلظ له في القول بدون حق أو تطاول عليه، ولاسترجاع كرامته والأخذ بحقه ممن تطاول عليه ينبغي أن يعوضه شيئا ماديا، عشاء أو غيره حتى يرضى عنه، ويزول ما بقلبه من النفور أو الكراهية أو الغضب الذي سببه ما جرى بينهما من خصام، فإن هذا لا مانع منه شرعا إن شاء الله تعالى، ولو كان ذلك على شكل هدية لكان أحسن وأنسب لزوال ما في الصدر وما علق بالنفس مما جرى[488]، واستشهد بقول النبي ﷺ: « تَهَادَوْا، فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَغَرَ الصَّدْرِ »[489]، وفي رواية الإمام مالك في الموطأ: «تَصَافَحُوا يَذْهَبِ الْغِلُّ، وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا، وَتَذْهَبِ الشَّحْنَاءُ»[490].

ولعل ما أراده الشيخ أبو مزيريق من تحريم هذا الفعل والتشنيع عليه كونه لا يستند لسبب شرعي، وإنما مجرد اللهو واللعب بين الأصدقاء، فيكون من أكل أموال الناس بالباطل، ويؤيد هذا فتوى

---

(487) عبد الله بن محمد بن الفقيه الجكني الشنقيطي، ولد بموريتانيا عام 1964م، تعلم مبادئ العلوم العقدية والفقهية واللغوية في بيت والده وهو لا يزال في سن مبكرة. ثم انتقل إلى محظرة (أهل بخظه) لعبد الودود وهي من أشهر المحاظر لطلب العلم وتفرغ له متعلمًا ومعلمًا، وحاز الشهادة المعروفة هناك بإجازة أهل بخظيه، وهي الشهادة التي لم يحصل عليها أحد قلة حلال أكثر من ستين سنة، على الرغم من عراقة هذه المحظرة وكثرة من تخرجوا منها من العلماء. وذلك لأن مشايخ هذه المحظرة لا يمنحون تلك الشهادة إلا لمن تميز بذكاء خارق وملكة فائقة، ثم ذهب إلى السودان ودرس هناك أيضًا، وحاز على درجة الماجستير والدكتوراه من جامعة القرآن الكريم للعلوم الإسلامية بالسودان، وعمل مدرسًا جامعيًا في بلده موريتانيا والسودان ما يقارب سبع سنين، وهو الآن رئيس فريق الفتوى بالشبكة الإسلامية بدولة قطر. المكتبة الشاملة الاصدار الثالث 3.61. الفتاوى. فتاوى الشبكة الإسلامية. عنوان الفتوى: ترجمة الدكتور عبد الله الفقيه حفظه الله. رقم الفتوى 35374. تاريخ الفتوى : 24 جمادي الأولى 1424 هـ. ج 5. ص 5181.

(488) د م. د ت. *المكتبة الشاملة الاصدار الثالث 3.64*. الفتاوى. "فتاوى الشبكة الإسلامية". عنوان الفتوى: حكم قول القائل لمن أغضبه "عليك حق". رقم الفتوى 50134. تاريخ الفتوى : 28 ربيع الثاني 1425. ج 8. ص 101.

(489) ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. *مسند الامام أحمد بن حنبل*. ج 15. ص 141. حديث رقم 9250.

(490) مالك بن أنس. 1985 م. *الموطأ*. محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. كتاب حسن الخلق. باب ما جاء في المهاجرة. ج 2. ص 908. حديث رقم 16.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

للشيخ ابن عثيمين[491] فقد أطلق القول بالحرمة إلا لسبب شرعي، وهذا نص فتواه: "سأله السائل نسمع كثيراً في المجالس كلمة: "فلان عليه حق" وأنت عليك حق، فما توجيهكم؟ الشيخ: يعني غرامة، السائل: أو نحوها. فأجابه الشيخ: هذا لا شك أنه محرم إلا لسبب شرعي، كوننا نلزم إنساناً ونغرمه مالاً أو وليمة أو ما أشبه ذلك فهذا لا يجوز إلا بسبب شرعي"[492]؛ واستشهد بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[493].

نستطيع أن نستنتج مما سبق أن رأي المانعين مرجعه إلى أكل أموال الناس بالباطل بدون وجه حق، كما أن دليل رأي المجيزين، على من أخطأ في حق أخيه فلا بأس أن يقدم له شيئا من طعام أو هدية جبراً لخاطره ليكون أدعى له على المسامحة والله أعلم.

ثالثاً: النصب التذكاري

النصب: "النَّصْبُ" بوزن الضَّرْبِ ما نُصِبَ فعُبِدَ من دون الله، وكذا "النُّصْبُ" بوزن القُفْلِ، وقد تضم صاده أيضا والجمع "أَنْصَابٌ"[494] النصب التذكاري: هو ما وضع من حجارة أو تماثيل تخليدا للذكرى، أو العبادة،[495] ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ﴾[496] وفي

---

(491) أبو عبد الله محمد بن صالح بن عثيمين، ولد في عنيزة بالقصيم سنة 1347 هـ، أحد العلماء الأئمة المعتبرين في العقيدة والفقه والأصول والتفسير، شهرته تغني عن التعريف به، توفي رحمه الله سنة 1421 هـ. عصام بن عبد المنعم الباحوث. 2003 م. الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة ابن عثيمين. الإسكندرية: دار البصيرة. ص 17، 393.

(492) المكتبة الشاملة الإصدار الثالث 3.61. محمد بن صالح بن محمد العثيمين. لقاء الباب المفتوح. "لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس. بدأت في أواخر شوال 1412هـ وانتهت في الخميس 14 صفر، عام 1421هـ". ج 160. ص 7.

(493) القرآن. النساء 4: 29.

(494) الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. 1999م. *مختار الصحاح*. يوسف الشيخ محمد. بيروت –صيدا: المكتبة العصرية – الدار النموذجية. ص 311.

(495) محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي. 1988 م. *معجم لغة الفقهاء*. دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع. ص 481.

(496) القرآن. المائدة 5: 92.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الموسوعة العربية العالمية: هو بناء عادة ما يكون مبنى أو تمثالا شُيِّد لتخليد ذكرى شخص أو حادثة، والنصب القومية هي أماكن لها أهمية تاريخية وعلمية، والمشاهد الخلابة التي تحافظ عليها الحكومة باعتبارها ممتلكات شعبية، وتتضمن هذه المباني القصور التاريخية والمظاهر الطبيعية مثل الأخاديد وغيره.(497)

هذه النصب التذكارية من المسائل الحادثة في العصر الحديث لم تكن موجودة قديمة فلم يتحدث عنها سوى بعض الفقهاء المعاصرين، وقد تتبع الباحث بعض الفتاوى الصادرة عن بعض المجامع الفقهية ودور الفتوى، فالظاهر أن المسألة خلافية، فبعض العلماء جوز بناء هذه النصب التذكارية بشرط خلوها من أمر محرم شرعاً؛ كأن لا تكون تمثالاً مثلاً فهذا غير جائز، وإلى هذا ذهبت دار الإفتاء الكويتية، " بالنسبة للنصب التذكاري لا بد أن يخلو هذا النصب من أي معنى محرم، وألا يكون تمثالاً لما فيه روح. والله أعلم"،(498) والبعض الآخر ذهب إلى أن هذه النصب مشابهة لما عليه أمر الجاهلية من الأنصاب الموضوعة حول الكعبة، كذلك سداً للذريعة لأنها قد تفضي إلى عبادتها وتقديسها مع مرور الزمن وهذا ما أفتت به اللجنة الدائمة للفتوى بالسعودية، حيث ورد إليها السؤال الآتي: ما موقف الإسلام من الأنصاب ونصب الجندي المجهول؟ فكانت الإجابة "إقامة الأنصاب للموفين من الوجهاء أو من لهم شأن في بناء الدولة علمياً أو اقتصادياً أو سياسياً أو إقامة نصب لما يسمى بـ"الجندي المجهول" هو من أعمال الجاهلية، وضرب من الغلو فيه، ولذلك نجدهم يقيمون حفلات الذكرى حول هذه الأنصاب عند المناسبات ويضعون عليه الزهور تكريماً لها، وهذا شبيه بالوثنية الأولى، وذريعة إلى الشرك الأكبر والعياذ

(497) د م. 1999 م. *الموسوعة العربية العالمية*. لمجموعة من العلماء والباحثين. الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع. ج 25. ص 360.

(498) مجموعة الفتاوى الشرعية الصادرة عن قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية. 2001م. الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. ص 340. فتوى رقم 1977.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بالله؛ فيجب القضاء على هذه التقاليد محافظة على عقيدة التوحيد ومنعاً للإسراف دون جدوى وبعداً عن مجاراة الكفار ومشابهتهم في عاداتهم وتقاليدهم التي لا خير فيها، بل تفضي إلى شر مستطير"[499] وهو موافق لما عليه الشيخ أبي مزيريق.

-موقف الشيخ أبي مزيريق من النصب التذكاري

كما بين الباحث سابقاً فإن هذه المسألة خلافية غير منصوص عليها قديماً، وبالتالي فهي محل اجتهاد فكان الحكم فيها بل مُبيح لها بشرط ألا تشتمل على مُحَرَّم شرعاً، أو مُحَرِّم لها قياساً على ما كان حول الكعبة من أصنام أيام الجاهلية، ومحل هذا التحريم سداً للذريعة وكذلك لما فيها من مشابهة للكفار، ومن هنا جاء قول الشيخ أبي مزيريق موافقاً لقول المانعين والمحرمين لها ويرى أن ما يفعل حولها اليوم من إقامة الحفلات مشابهاً لما كان عليه حال السابقين في نذر الأطعمة والأشربة لها، فقد قال: "والأنصاب أصنام منصوبة يطوفون بها ويعبثون حولها ويندرون لها الذبائح والأطعمة وكل ما لذ وطاب من أنواع الطعام والشراب، كما هو معمول به الآن في الحفلات والمناسبات تكريماً بزعمهم بضحايا العدوان وتخليداً لتلك الذكريات!." [500].

يرى الباحث أن قول الشيخ أبي مزيريق هذا متوافق مع قاعدة مهمة وهو قاعدة سد الذرائع، فالأولى ترك مثل هذه الأشياء خوف أن تجر إلى شيء محرم، وإن كانت قد ابتليت بها البلوى في كل بلاد الإسلام لكن ينبغي التنبيه عليها والتذكير بخطرها حتى يكون الناس منها على حذر.

(499) الدرويش، أحمد بن عبد الرزاق. 2003 م. *فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء*. الرياض: دار المؤيد. ص 478، 479

(500) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 3. ص 429.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المبحث الثالث: منهجه في الإصلاح والدعوة إلى الله تعالى

أراد المفسر من تفسيره إصلاح الناس والمجتمع، فلم يدخر جهداً في النصح وتبيين الحق، وتمثل هذا المنهج في تقديم النصح للناس والتنبيه على أخطائهم، وذلك بنقد كل ما رآه مخالفاً للشريعة، ولعل هذا يكون السبب الرئيس لتأليفه الكتاب فقد سما "إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن" ولم يسمه تفسيراً وإنما أراد توجيه الناس وإرشادهم لما جاء به الكتاب العزيز.

المطلب الأول: المنهج الإصلاحي للشيخ وتأثره بالمدرسة العقلية الحديثة

يتضح من دراسة كتاب إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن أن المفسر تأثر كثيراً في تفسيره بأفكار المدرسة العقلية، فهو يميل كثيراً للمدرسة الإصلاحية أو ما تسمى بالمدرسة العقلية الحديثة[501]، التي أسسها

(501) هي حركة دينية فكرية ظهرت في العصر الحديث، تدعو إلى الاجتهاد والتجديد، وأعطت العقل حرية في تأويل وتفسير بعض الحقائق الشرعية إلى معانٍ تتوافق وتطورات العصر الحديث، لم تعهد عند السابقين من قبل، وسميت بالمدرسة العقلية الحديثة لأنها تقابل المدرسة العقلية القديمة (المعتزلة)، وكانت نشأتها في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجري في مصر على يد الأستاذين: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ونشأة هذه المدرسة في فترة ضعف الدولة العثمانيّة، وفي حالة الأمة وعصرها الجهل والتخلف، وفي الوقت نفسه كان الغرب يتقدَّم في الماديات بصورة كبيرة. ومما يؤخذ على هذه المدرسة توسعها العقلي الذي سمح لها بتأويل بعض الحقائق الشرعية، وأدى بها إلى إنكار بعض الغيبيات الثابتة بالسنة الصحيحة، بحجة الضعف والوضع تارة أو أنها آحاد تارة أخرى. محمد السيد حسين الذهبي. د ت. *التفسير والمفسرون*. القاهرة: مكتبة وهبة. جـ 2. ص 403. وعلي بن نايف الشحود. 2007م. موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة. د م. جـ 36 ص 113. ويوسف أحمد حسين الخلايله. 2007 م. ملامح المدرسة العقلية الحديثة في تفسير الدكتور عبد الله شحاته. الجامعة الأردنية رسالة ماجستير. ص 19.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

جمال الدين الأفغاني[502]، والشيخ محمد عبده [503]، وهذا القول ليس ادعاء من غير دليل فالدليل واضح من خلال دراسة كتاب "إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن"، فهو دليل عملي على تأثر الشيخ بأرباب تلك المدرسة إذ يوافقهم في بعض القضايا:

1-إنكار نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان[504]، فقد وافق المفسر المدرسة العقلية في إنكار نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، فيتأول الآيات الدالة على نزوله عند جمهور المفسرين، ويفسرها على طريقة المنكرين لنزول عيسى عليه السلام، ونزول عيسى عليه السلام ثابت بالسنة الصحيحة، ولكنه ترك العمل بالاحاديث الصحيحة الواردة في نزوله عليه السلام، وترك العمل بالأحاديث الصحيحة مما يؤخذ على تلك المدرسة، ويتبين موقف

---

(502) جمال الدين الأفغاني جمال الدين بن صفدر (صفتر) بن علي ابن محمد بن محمد الحسيني، حكيم، واسع الاطلاع في العلوم العقلية والنقلية، وكان يتقن العديد من اللغات كالأفغانية والفارسية والعربية والتركية والفرنسية، سافر إلى الهند وتلقى فيها العلوم العقلية والنقلية، له رحلة إلى الحجاز، ثم زار فأقام بباريس، أنشأ في باريس مع رفيقه محمد عبده جريدة العروة الوثقى، توفي في القسطنطينية سنة 1314 هـ- 1897 م. ينظر: عمر رضا بن محمد راغب بن عبد الغني. د ت. *معجم المؤلفين* بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج 3. ص 155.

(503) الشيخ محمد عبده، هو محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، وصفه خير الدين الزركلي بأنه من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. توفي سنة 1323 هـ 1905 م. الزركلي، خير الدين بن محمود. 2002 م. *الأعلام*. د م. دار العلم للملايين. الطبعة الخامسة عشر 2002 م. ج 6. ص 252. وعادل نويهض. 1409 هـ -1988 م. *معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»*. بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر. الطبعة: الثالثة. ج 2. ص 566.

(504) وإنكار نزول عيسى عليه السلام ثابت عن أتباع هذه المدرسة، فقد نقل السيد رشيد رضا عن شيخه محمد عبده إنكار نزول عيسى. ينظر محمد رشيد بن علي رضا. 1990 م. *تفسير المنار*. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج 3. ص 261. وكذلك المراغي في تفسيره، أحمد بن مصطفى المراغي. 1946 م. *تفسير المراغي*. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ج 3. ص 168، 169. والشيخ محمد رشيد رضا. 1346هـ- 1928م. "أسئلة من تونس" *مجلة المنار*. المجلد 28 رجب-يناير. ص 747. والشيخ محمود شلتوت، 1942/5/11م. "رفع عيسى" *مجلة الرسالة*. العدد: 462 ما[illegible] وغيرهم ينكرون نزول عيسى آخر الزمان، فلم يكن هذا القول اجتهاد من أبي مزيريق؛ وإنما سبقه إليه آخرون، وكذلك [illegible] ابن عاشور في تفسيره *التحرير والتنوير* وهو ممن تأثر بهم المفسر كثيراً في تفسيره ويظهر أنه تبعه في هذه المسألة، حيث إن ابن عاشور كذلك ما ذهب إليه الجمهور في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ، قَبْلَ مَوْتِهِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ۝﴾ (النساء: 158)، ويستدل بدليل عقلي على بطلان عودة الضمير في "موته" على عيسى عليه السلام قال: يبطل هذا التفسير لأنّ الّذين يؤمنون به على حسب هذا التأويل هم الذين سيوجدون من أهل الكتاب لا جميعهم، وهذا الدليل نفسه استدل به الشيخ أبو مزيريق. ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر. 1997 م. *التحرير والتنوير*. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع. ج 6. ص 25.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المفسر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿۞ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ قال: اضطرب المفسرون في تفسير هذه الآية عندما اختلفوا في معناها، فبعضهم يقول ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى عندما تظهر له حقيقته بأنه رسول الله حال الاحتضار، ولكن هذا الإيمان لا ينفعه لأنه جاء في غير أوانه، وبعضهم يقول: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى بعد ما ينزل إلى الأرض آخر الزمان، فيؤمن به اليهود والنصارى، استناداً إلى روايات تذكر نزول عيسى آخر الزمان، قال: وهذا القول مردود؛ لأن الآية تعمم، وما يقع عند نزوله مخصص بمن يحضر نزوله من أهل الكتاب[505].

2- موقفه من قضية السحر، وهذه قضية أخرى وافق رأيه فيها رأي أصحاب تلك المدرسة، وموقفهم من السحر واضح من خلال مؤلفاتهم، يقول الشيخ محمد رشيد رضا: والآية تدل على أن السحر خداع باطل، وتخييل يرى ما لا حقيقة له في صورة الحقائق[506]، وذهب أيضاً الشيخ المراغي [507] إلى أن السحر تخييل ولا حقيقة له[508]، وجاء موقف الشيخ أبي [illegible] موافقاً لهم أيضاً فقال: في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿۞ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[509]، السحر: المعوذات وهي تمويه الحيل بإخفائها تحت حركات وأحوال يظن الرائي أنها هي المؤثرة مع أن المؤثر خفي، ويطلق السحر على الخديعة، ويطلق

---

(505) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 3. ص 227.

(506) محمد رشيد بن علي رضا. 1990 م. *تفسير المنار*. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج 7. ص 260.

(507) هو أحمد بن مصطفى المراغي: أحد المفسرين المعاصرين، من علماء مصر البارزين، تخرج من جامعة القاهرة كلية دار العلوم سنة 1909 م، ترك العديد من الآثار منها: الحسبة في الإسلام، والوجيز في أصول الفقه، وتفسير للقرآن الكريم في ثلاث مجلدات، توفي بالقاهرة سنة 1371 هـ = 1952 م. الزركلي، خير الدين بن محمود. 2002 م. *الأعلام*. ج 1. ص 258.

(508) المراغي، أحمد بن مصطفى. 1946 م. *تفسير المراغي*. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر. ج 1. ص 180.

(509) القرآن. البقرة 2: 101.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

على ما علم ظاهره وخفي سببه، وهو التمويه والتلبيس وتخييل غير الواقع واقعا، ويطلق على ترويج المحال، وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكان الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق، وخيل الشيء على غير حقيقته قد صرف الشيء عن وجهه[510].

وقال في تفسير قوله تعالى:﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[511]إن الذي صنعوه كيد وتمويه، فلا يقف أمام الحق النزيه، ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾بل يخيب وينتهي كل ما عنده من الحيل والتمويه[512].

3-موقفه من السنة: المفسر رحمه الله لا ينكر السنة كما يفهم من كلامه في مقابلة أجريت معه، ونشرت على الشبكة العنكبوتية، لكنه يتعامل مع السنة كتعامل أصحاب المدرسة العقلية معها، فيقدم الرأي عليها أحياناً؛ كما في بعض المسائل التي درسها الباحث في هذه الرسالة، فأنكر نزول عيسى عليه السلام مع أن الأحاديث في هذا الباب كثيرة وصحيحة، حكم عليها بعض أهل العلم بالتواتر، ولكن المفسر قدم فهمه من القرآن الكريم على كل هذه النصوص، وقال: وبعضهم يقول: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى بعد ما ينزل إلى الأرض آخر الزمان، فيؤمن به اليهود والنصارى، استناداً إلى روايات تذكر نزول عيسى آخر الزمان، قال: وهذا القول مردود؛ لأن الآية تعمم، وما وقع عند نزوله مخصص بمن يحضر نزوله من أهل الكتاب[513]، فنرى أن المفسر أشار إشارة عابرة إلى السنة في حكمه على هذه المسألة فقال: استناداً إلى روايات، ولم يتعرض لهذه الروايات ويبين درجتها، وهذا هو منهج المدرسة

(510) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 190.

(511) القرآن. طه. 20: 68.

(512) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 7. ص 482.

(513) أبو مزيريق. ج 3. ص 227.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

العقلية الحديثة في التعامل مع نصوص السنة النبوية المطهرة، فهم إذا لم يوافق الحديث منهجهم يؤولونه أو يردونه ويبطلونه إذا لم يقبل التأويل[514]، والمفسر رحمه الله تبعهم في هذا المنهج مما جعله يوافقهم في بعض القضايا.

4-ثناؤه على مؤسسي المدرسة الإصلاحية، فقد ألف رحمه الله كتاباً سماه " مختارات خالدة ممتدة من تاريخ الإمامين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده"، وتأثره بهم واضح في تفسيره فكثيراً ما ينقل عن محمد رشيد رضا[515] في تفسير المنار ويثني عليهما فبعد نقله عن كتاب المنار قال: نقلت هذا البحث المفيد من قول رشيد في تفسيره الفريد، لأنه جامع لكل ما قيل ويقال في البدع التي عمت البلاد وأضلت العباد[516].

ومما يؤكد هذا الكلام بما لا يدع مجالاً للشك، هو ثناؤه على مؤسسي تلك المدرسة، والناظر في تفسيره يرى أن المفسر يسلك المنهج الإصلاحي، وقد كتب بحث حول منهجه الإصلاحي[517]، قدم لمؤتمر "المفسرون المغاربيون المعاصرون"[518] فأثنى الشيخ -رحمه الله- بتلك المدرسة واضح دل عليه ما سبق ذكره.

---

(514) الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان. 1980 م. *منهج المدرسة العقلية الحديثة في تفسير القرآن في المملكة العربية السعودية*. جامع الامام محمد بن سعود الإسلامية. رسالة ماجستير. ص 279.

(515) هو محمد رشيد بن على رضا بن محمد شمس الدين، يعد أحد أعلام رجال الإصلاح في العصر الحديث، وُلد سنة 1865 م، في مدينة القلمون، في طرابلس لبنان، وبها نشأ وتعلم، وفي سنة 1315 هـ رحل إلى مصر، فالتقى بمحمد عبده فلازم وتتلمذ على يديه، وقد ترك الشيخ رشيد عدداً من الآثار، منها: مجلة المنار، أصدر منها (34) مجلداً، وتفسيره للقرآن الكريم "*تفسير المنار*" في (12) مجلداً لم يكمله، توفي فجأة في سيارة وهو عائد بها من السويس إلى القاهرة، سنة 1935 م. د م. *الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي*. ملاحق الشخصيات والأعلام. جـ 10. ص 532. والزركلي، خير الدين بن محمود. 2002 م. *الأعلام*. د م. دار العلم للملايين. الطبعة: الخامسة عشر 2002 م. جـ 6. ص 126.

(516) أبو مزيريق. جـ 4. ص 275.

(517) عنوان البحث: أبو مزيريق ومنهجه الإصلاحي. مصطفى محمد حديد باحث بالجامعة الأردنية.

(518) مؤتمر المفسرون المغاربيون المعاصرون عقد في المغرب 21، و22 جمادى الآخر 1434 هـ الموافق 2، 3 مايو 2013 م.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المطلب الثاني: الأسلوب النقدي والدعوي عند الشيخ أبي مزيريق

إن المتصفح لكتاب إرشاد الحيران يرى بوضوح منهج المفسر الدعوي الإصلاحي الذي يتمثل في النقد لكل ما يرى أنه مخالف للإسلام، وينافي ما جاءت به هذه الشريعة الغراء، ويدل هذا على أن المفسر يعمل بالقرآن الكريم كمنهج حياة ينظم علاقة الناس بربهم، ويصحح العديد من المفاهيم والممارسات الخاطئة في حياة الناس، ولهذا أخذ على عاتقه بيان الحق والأمر به، والنهي عن الباطل وإنكاره، وأنه لا ينبغي السكوت على الباطل، بل يجب إنكاره وإلا فالذنب يلحق من فعله ومن سكت عنه فقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن من صفات اليهود التي ذمهم القرآن بها وهي عدم إنكارهم للمنكر فقال عز من قائل: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ (519)، قال الشوكاني عقب تفسيره لهذه الآية: "والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم القواعد الإسلامية وأجل الفرائض الشرعية، ولهذا كان تاركه شريكاً لفاعل المعصية ومستحقا لغضب الله وانتقامه كما وقع لأهل السبت، فإن الله سبحانه مسخ من لم يشاركهم في الفعل ولكن ترك الإنكار عليهم، كما مسخ المعتدين فصاروا جميعاً قردة وخنازير إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد" (520)، ويندرج هذا المنهج تحت وجوب بيان العلم وعدم كتمانه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ

(519) القرآن. المائدة 5: 80-81.

(520) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. 1414 هـ. *فتح القدير*. دمشق-بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب. ج 2. ص 76

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (521)، وهذا هو منهج كثير من العلماء والدعاة على مر الأزمان وهو منهج الأنبياء من قبلهم، ففي صحيح مسلم من حديث تميم الداري ﷺقال: قال رسول الله ﷺ «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» (522)، وروى البخاري في صحيحه عن جرير بن عبد الله، قال: «بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم» (523).

ونجد أن المفسر –رحمه الله– لم يخرج عن هذا المنهج النبوي ولم يأل جهداً في محاولته إصلاح الناس ومن هنا يبرز لنا توفيق المفسر في اختياره التوجيهات والإرشادات عنواناً لتفسيره هذا، فالمفسر دائماً يبين الرأي الصحيح ويسقط الأخطاء التي يراها، ونقده وإصلاحه هذا لم يكن موجهاً لفئة معينة؛ وإنما جاء شاملاً لمناحي كثيرة، ووجوه عديدة: فنجده في العقيدة تارة، وفي العبادة تارة أخرى، وفي المعاملات وللعلماء والعامة، وسيضرب الباحث هنا بعض الأمثلة لذلك.

أولاً– نقده للفلاسفة

بعد أن انتشر الإسلام وتم له التمكين، وصارت له دولة العتم المسلمون بأنواع العلوم الكثيرة، ولعل هذا الاهتمام ازدهر في عهد الدولة العباسية، ومن المسلك لذلك العهد اهتمام الدولة بترجمة الكتب للغة العربية، ومن بين تلك الكتب كتب الفلسفة، وبعد الترجمة ظهرت نظرياتها لعلماء المسلمين ودرسوها،

---

(521) القرآن. البقرة 2: 158.

(522) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. صحيح *مسلم*. (تحقيق) محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. كتاب الإيمان. باب أن الدين النصيحة. حديث رقم 95. جـ 1. ص 74.

(523) البخاري، محمد بن إسماعيل. 1422 هـ. صحيح *البخاري*. د م. دار طوق النجاة. (تحقيق) محمد زهير بن ناصر الناصر. كتاب الإيمان. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ". حديث رقم 57. جـ 1. ص21.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ومن أشهر علماء المسلمين في الفلسفة: الفارابي (ت 339 هـ)[524]، وابن سينا (ت 428 هـ)[525]، ولكن النظريات الفلسفية فيها الكثير من الأخطاء والمخالفة لما جاء به كتاب الله تعالى، وقد اهتم بعض علماء المسلمين بإيراد تلك النظريات ونقدها، كالإمام الفخر الرازي (ت 606 هـ) [526] في تفسيره، وكذلك الله حجة الإسلام الإمام الغزالي [527]، كتابه تهافت الفلاسفة، بين فيه خطأهم، بل كفرهم في بعض المسائل، وبدعهم في مسائل أخرى، ولم يسلم هو أيضاً من النقد؛ فقد استدرك عليه ابن رشد[528] منتصراً للفلاسفة في كتابه تهافت التهافت، ولعلنا نستشف من هذه المقدمة الصغيرة أن دراسة الفلسفة

---

(524) هو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي التركي الحكيم المشهور، قال عنه الذهبي: له تصانيف مشهورة، من ابتغى الهدى فيها ضل وحار، ترك العديد من التصانيف في المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم، وهو أكبر فلاسفة المسلمين، ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنه. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم. 1994 م. *وفيات الأعيان*. بيروت: دار صادر. جـ 5. ص 153. والذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. 1427هـ-2006م. *سير أعلام النبلاء*. القاهرة: دار الحديث. جـ 12. ص 12.

(525) هو العلامة الشهير الفيلسوف، هو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، البلخي ثم البخاري، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم. 1994 م. *وفيات الأعيان*. جـ 2. ص 157. والذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. 1427هـ-2006م. *سير أعلام النبلاء*. جـ 13. ص 199.

(526) هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري، من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، له العديد من التصانيف في مختلف العلوم منها "التفسير الكبير" و"تفسير للقرآن الكريم. تعرض فيه للكثير من شبه الفلاسفة محاولاً الرد عليها وتفنيدها. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. 1396 هـ. *طبقات المفسرين العشرين*. المحقق: علي محمد عمر. القاهرة: مكتبة وهبة. ص 115. وعادل نويهض. 1409 هـ -1988م. *معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»*. بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر. الطبعة الثالثة. جـ 2. ص 596.

(527) أبو حامد الغزالي: هو محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الإمام الجليل يلقب بحجة الإسلام، ترجم له السبكي ترجمة طويلة جاء فيها: جامع أشتات العلوم والمبرز في المنقول منها والمفهوم، توفي في جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. 1413هـ. *طبقات الشافعية الكبرى*. المحقق: محمود محمد الطناحي. عبد الفتاح محمد الحلو. هجر للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية. جـ 6. ص 192. وابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي. 1407 هـ. *طبقات الشافعية*. المحقق: الحافظ عبد العليم خان. بيروت: عالم الكتب. جـ 1. ص 228.

(528) هو محمد بن أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، يكنى أبا الوليد. يطلقون عليه الشارح الحفيد، للتفرقة بينه وبين جده أبو الوليد قاضي الجماعة بقرطبة، صاحب كتاب البيان والتحصيل، كان من أهل العلم والتفنن في المعارف، من فقه وطب وفلسفة، له العديد من المصنفات منها: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، في الفقه، وكتاب *تهافت التهافت*، في الفلسفة. المالقي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن الحسن الجذامي النباهي الأندلسي. 1403هـ -1983م. *تاريخ قضاة الأندلس*. المحقق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة. بيروت-لبنان: دار الآفاق الجديدة. الطبعة: الخامسة. ص 111.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

قليل من سلم منها فبعض نظرياتها تصادم القرآن والسنة وتخالفها، وقد أجاد في وصفها الغزالي في مقدمة كتابه "تهافت الفلاسفة" فقال: "ليعلم أن الخوض في اختلافاتهم تطويل فإن خبطهم طويل، ونزاعهم كثير، وآراؤهم منتشرة، وطرقهم متباعدة متدابرة" (529)، والحقيقة أن الفلسفة لم يسلم منها علماء المسلمين فقد انتقد الغزالي الفارابي وابن سينا بشدة، ونرى بعد ذلك أن ابن رشد انتقد الغزالي أيضاً (530)، ولعل الأولى للمسلم الإعراض عنها، وتكون دراستها لمن هو متخصص فيها –للرد على نظرياتها– متحصن بعلوم الشرع الحنيف.

نجد الشيخ أبا مزيريق نَهَج نَهْج العلماء المحذرين من ضلالاتها، فبين في كتابه أن ما جاء به القرآن أصح وأوضح في تصوير العلاقة بين الخالق وخلقه، وأن الفلاسفة حادوا عن الطريق القويم وسلكوا طريقاً لا يؤدي للحق بل ضلوا في تيه ومتاهة فيه، فقال: "ولقد تورط الفلاسفة الإلهيون ومن نهج بنهجهم من أصحاب الكلام في هذا الموضوع، فحصل بينهم نزاع أدى بهم إلى خلافات ومناقشات، أدت بهم إلى ضلالات وترهات تباعدت بهم عن الحق الذي يجب أن يكون هو الهدف الأسمى دائماً" (531).

وفصَّل في موضع آخر من تفسيره كلامهم وبين خروج ما هم فيه من التيه وعدم الوصول للحق، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ

(529) الغزالي، أبو حامد. د ت. *تهافت الفلاسفة*. (تحقيق): سليمان دنيا. القاهرة: دار المعارف. ط4. ص 76.

(530) ابن رشد، أبو الوليد محمد. 1964 م. *تهافت التهافت*. (تحقيق): سليمان دنيا. القاهرة: دار المعارف. ص 55.

(531) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 1. ص 40.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

﴿[532] هنا نصل إلى فكرة الإسلام التجريدية عن الله سبحانه وتعالى، وعن نوع العلاقة بين الخالق وخلقه، وعن طريقة صدور الخلق عن الخالق، وهي أنسب وأليق تصور يملكه البشر لتلك الحقائق جميعاً، لقد صدر الكون عن خالقه عن طريق توجه الإرادة المطلقة: كن فيكون، وتوجه الإرادة إلى خلق كائن ما كفيل وحده بوجود هذا الكائن على الصورة المقدرة له بدون وسط من قوة أو مادة، أما كيف تتصل هذه الإرادة التي لا نعرف كنهها الإنسان بذلك الكائن المراد صدوره عنها، فذلك هو السر الذي لم يكشف للإدراك البشري عنه؛ لأن الطاقة البشرية دون إدراكه، ولقد ضربت الفلسفات في تيه لا منارة فيه، وهي تحاول كشف هذا السر، وتفترض فروضاً تتبع الإدراك البشري المحدود، تصل أحياناً إلى حد مضحك، لا يدري الإنسان كيف يصدر عن فيلسوف [533].

والحق أن المفسر يصف الفلاسفة وصفاً دقيقاً يضع فيه الدواء على الداء، فيرى أن سبب ما وقع لهم من خلل هو قياسهم الخالق على المخلوق، وهذا هو بداية انحرافهم عن الجادة، فيقول: وما ذلك كله إلا لأن أصحاب هذه الفلسفات حاولوا أن يخرجوا بالإدراك البشري عن مداه المقدر له، فلم ينتهوا إلى شيء يطمئن إليه[534].

ثم بعد أن بين المفسر خطأ الفلاسفة ومجانبتهم للصواب، وكذلك بعد بيانه لسبب هذا الخطأ، بين أن الإسلام وضع القواعد العامة التي لو سار عليها الفيلسوف أو المفكر فإنها تعصمه من الزيغ والضلال فقال: وعصم الإسلامُ أهلَه المؤمنين به الفاهمين له أن يحاولوا هذه المحاولات الفاشلة، فلما أن أراد بعض متفلسفتهم متأثرين بأصداء الفلسفة الإغريقية أن يتطاولوا إلى هذا المرتقى زلوا بالتعقيد

(532) القرآن. البقرة 2: 116- 115.

(533) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 241.

(534) المصدر السابق. ج 1. ص 242.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

والتخليط، وذلك هو المصير المحتوم لكل محاولة للعقل البشري وراء حدوده وفوق طبيعته، والنظرية الإسلامية هنا أن الخلق غير الخالق، وأن الخالق ليس كمثله شيء، والوجود صدر عن توجه الإرادة إلى إيجاده بكيفية غير معلومة، لأنها فوق الإدراك البشري، والله هو المبدع، فما أبدعه الله ليس هو الله، وليس صورة لله (535).

ثانياً– نقده لأخطاء العامة من الناس وتحذيرهم مما قد يضرهم في دينهم

بالنظر في كتاب إرشاد الحيران يتبين لنا أن المفسر أراد منه الدعوة والإرشاد للناس، ومن هذا المنطلق والمبدأ نجد المفسر دائماً يوجه الناس لما يراه صواباً منسجماً مع ما جاء به القرآن الكريم، وتارة أخرى ناقداً لكل ما يراه مخالفاً، كما ذكر عند حديثه عن بعض أفعال اليهود الخاصة بتحريم بعض أنواع الأطعمة التي لم يحرمها الله تعالى عليهم، كامتناعهم عن أكل بعض أنواع الطيور والأطعمة الأخرى، فيعقب المفسر هذا الكلام بحديثه عما يراه عند بعض العامة من المسلمين في هذا العصر من تناول وتخصيص بعض الأطعمة يأكلونها في العيد أو بعض المناسبات الأخرى، معللاً هذا باتباعهم بعض العادات السيئة من اليهود جراء مخالطتهم، واليهود أنفسهم ابتدعوا هذا ولم يكن في دينهم، وتلقفه منهم المسلمون دون تمحيص ولا تدقيق، وقد تسرب لبعض المجتمعات الإسلامية من جهة مخالطة اليهود، ويرى أن هذا تزوير لما جاء به الأنبياء وكذب عليهم (536).

وفي موضع آخر نراه يحذر عموم المسلمين من كيدهم ومحكوم من اتخاذ الكفار عمالاً فيما يعد من أسرار المسلمين، فإنهم وإن أظهروا لنا النصح والمودة؛ فالواقع أنهم يبطنون خلافه لأن الله تعالى في علاه أخبرنا –ومن أصدق من الله قيلا– بأنهم عدو لنا ينتظرون الفرصة للنيل منا، ومن خداعهم للمسلمين

(535) المصدر السابق. ج 1. ص 242.

(536) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 2. ص 198.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أنهم يظهرون الود والنصح فينخدع بهم المسلمون فيمنحوهم الود والثقة لسلامة فطرتهم وصلاح قصدهم ونيتهم، وهم لا يريدون للمسلمين إلا الاضطراب والخبال، لفساد طويتهم وانحراف فطرتهم، ولا يقصرون في إعنات المسلمين، وبث وبذر الشوك في طريقهم، والكيد لهم والدس ما واتتهم الفرصة في ليل أو نهار، ثم نجد المفسر يبين الواجب على المسلمين حكاماً ومحكومين، مربين ومصلحين أن لا يتخذوا من هؤلاء بطانة، وأن لا يجعلوا منهم حفظة لأسرارهم وهم عليها غير مؤتمنين، ولا يصح للمسلمين أن يؤلفوا جماعات الصداقة بينهم وبين أعدائهم، ويفتحوا لهم صدورهم وقلوبهم، والله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿ هَٰأَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِۦ ۖ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ۖ وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (537). يرى أبو مزيرق أن هذا التحذير الرباني ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار عند المعاملة معهم (538).

كذلك أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ فعند حديثه عن العبادة التي لا تكون إلا خالصة لله تعالى قال: "هذا هو أساس التوحيد، فالله وحده المعبود، والله وحده المقصود، فليس معه وسيط أو شفيع، لا أولياء ولا أنبياء، لأنهم جميعاً أمام الله سواء، يرجون رحمته ويخافون عذابه، هذا هو المبدأ الصحيح، والمنطق الصحيح، غير أن الانحراف أكثرهم، فتعلقوا بالأوهام، وتمسكوا بالخيالات والخرافات، فجعلوا مع الله شركاء يعبدونهم ويتخذونهم إلى الله زلفى، وهذا

(537) القرآن. آل عمران 3: 119.

(538) أبو مزيرق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 2. ص 240.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

حاصل في القديم والحديث، نجد المفسر ههنا يقرر العقيدة الصحيحة التي لا تشوبها شائبة، ويبذل فيها النصح للمسلمين ويحذرهم من سوء الفهم وصرف عبادتهم لغير خالقهم (539).

وكما اهتم المفسر بالنصح في باب العقائد كما مر نجده لا يغفل باباً آخر مهم وهو باب المعاملات، فعند حديثه عن الخمر والميسر وحال الجاهلية معهما، قال: ومن الغريب أن هذه التسمية موجودة يستعملها من يدعي الإسلام في كثير من بلدان المسلمين يسمونها اليانصيب، وهي أوراق تشترى بثمن معين ولها رقم معين يدفعها في مكان معين لتظهر بعد ذلك في وقت معين رابحة أو خاسرة، وهو نوع من أنواع الميسر، ويدخل في هذا كل أنواع المقامرة والمراهنة(540).

وللمفسر دقة وتركيز على تصرفات الناس وأقوالهم، فنجده بعد حديثه عن البسملة وذكره لأقوال العلماء في حكمها، يخرج على ظاهرة واقعها؛ وهي اقتصار بعض الناس في مقدمة خطبهم وكلامهم على ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ دون إكمال البسملة كاملة، كما هو المعهود عند المسلمين جميعاً، قال: واستمر الحال بعد ذلك عند المسلمين جميعاً على كتابة ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ في رسائلهم ومصنفاتهم، وفي ذكرها في ابتداء الأمر بهم، إلا في حالة ذبح الحيوان فيقولون: بسم الله والله أكبر، وفي ذكرها عند الأكل كاملة أو "بسم الله" فقط. وقد ظهر في هذا العصر بعض المتحلقين ممن يقول في ابتداء كلامهم: :بسم الله" فقط!. وهي ظاهرة غريبة وبدعة عجيبة! نعوذ بالله من الكبر والكبراء ونعوذ من الجهل والجهلاء، والضعف والضعفاء(541).

---

(539) المصدر السابق. جـ 1. ص 44.

(540) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 1. ص 394.

(541) المصدر السابق. جـ 1. ص 32.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

والحقيقة أن نقده وتوجيهه للناس كثيراً منه موجه للعامة؛ لأنهم أكثر حاجة من غيرهم، ولكنه لم يغفل الخاصة من العلماء والدعاة، فعند حديثه عن حال علماء بني إسرائيل وكيف وصفهم الله في القرآن بأنهم يأمرون الناس بالبر والخير ويرشدونهم إلى الطريق المستقيم، ولكن في الواقع والحقيقة هؤلاء العلماء لا يطبقون ذلك في خاصة أنفسهم، فبعد حديثه عن حال بني إسرائيل عطف الكلام على حال بعض الدعاة والعلماء اليوم من عدم العمل بما يعظون به الناس، بين أن هذه الطريقة تصيب الناس بالشك فيما يتلقونه من العلماء والدعاة، فآفة ومصيبة هذا السلوك أن الدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه، هي التي تصيب النفوس بالشك لا في الدعاة وحدهم ولكن في كل الدعوات، ولا يبقى لكلامهم تأثير وإن حسنوه ونمقوه، فالكلام الذي يطبقه صاحبه ويستفيد منه هو الذي يؤثر في الناس (542).

يحث المفسر كثيراً على الاحتكام للقرآن الكريم خاصة في تناول ودراسة النظريات التي جاء بها الغرب، واستنتجوها من تجارب ودراسات علمية، مثل نظرياتهم عن حياة البشر وتطورهم فهم يبنون ذلك التصور على بعض الحفريات الأثرية والصور المنحوتة، ويتوصلون إلى أن الإنسان عاش حياة بدائية تشبه ما يعيشه بقية الحيوانات، ثم تطور بعد ذلك ويسمونه بالإنسان العاقل، ويرى المفسر بطلان هذا الزعم وأن الديانات كلها نصت على أن الله خلق الإنسان على صفة كاملة مختلفة تماماً على ما خلق الله عليه الحيوان، وأن الإنسان الأول هو آدم الذي علمه الله الأسماء كلها وأوحى إليه الشرائع وبين له الأحكام، ثم يردف قوله هذا: ومن هنا نعلم علماً صحيحاً ونقول قولاً صادقاً، إن نص القرآن في هذا الموضوع هو

(542) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 1. ص 126.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

النص الذي يعتمد عليه ويوثق به وثوقاً كاملاً، ويجب على جميع الباحثين والدارسين لتاريخ الإنسان أن يعتمدوا على نص القرآن، ولا يسلموا لقول الغير إلا بعد التمحيص والاختبار الدقيق (543).

وقد أطال المفسر الحديث عن هذا الموضوع لأهميته، وبين أن بعض المثقفين من المسلمين اغتروا بكثير من النظريات التي جاءت من المستشرقين والمبشرين الحاقدين على الإسلام والمسلمين، ظناً منهم أنها حقائق علمية ثابتة لا يعتريها شك ولا يلحقها زيف ولا بطلان، وأن مثل هذه النظريات تسربت لبعض كتب التفسير المعاصرة، نظيره ما وجد في التفاسير القديمة من الإسرائيليات، والمخرج من هذا هو بالرجوع لنص القرآن الكريم الواضح، فيه سيتبين خطأ وزيف كثير من نظرياتهم.

كثيراً ما يحيط المفسر بين العادات السارية في الأمم السابقة كاليهود وغيرهم، وما عليه الناس اليوم من بعض العادات السيئة المخالفة لما جاءت به هذه الشريعة الغراء، فيقول: ولتكن للمسلمين عبرة بما قص الله عليهم في كتابه من تاريخ بني إسرائيل، وأوضح لهم جزاء ما كسبت أيديهم من العذاب المهين والخزي العظيم، فليس ذلك لمجرد التقريع، وإنما هو للتحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه، لئلا يصيبهم ما أصاب أولئك من المصرع الوخيم، ثم يتمم المفسر الكلام مباشر فيقول: "ومن المسلمين اليوم من يتبع سنن اليهود خطوة بخطوة وذراعاً بذراع، وشبراً في شبر، حتى لو دخلها اليهود من قبلهم في الحديث والقديم، فقد ابتدع بعضهم عبادات لم ينزل الله بها من سلطان، واخترع آخرون شرائع ومعاملات تزلفاً للعامة وإرضاء لطغاة الحكام والأعيان، وسلكوا مسالك أحبار اليهود عندما يدعون أن لهم دالة على الله، وأنهم من أوليائه وأقرباء رسوله، فهو لا يعذبهم بما يجترحون من السيئات لأنهم مغفور لهم بالأصالة، أو مشفوع لهم بما عندهم من الخصوصية والنبالة، فلم يهتموا بما شرط الله عليهم في القرآن،

(543) المصدر السابق. ج 1. ص 108.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ولو أنهم درسوا قرآنهم وعرفوا تاريخ نبيهم، وتتبعوا سياسته وسياسة الخلفاء الراشدين من بعدُ، لما نكب الزمان ولما حلت بهم هذا المصائب التي تحيط بهم من كل مكان" (544).

في جانب آخر يربط بعض سلوك الناس اليوم بما كان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام، كما يحدث عند كثير من الناس بعد إكمال العبادات العظيمة كالحج والصوم يرجع الناس لما كانوا عليه من التفريط في عباداتهم واتباع مسالك وطرق الشيطان، يقول المفسر بعد حديثه عن بعض أحكام الحج: وفي آخر هذه الأحكام وصية جامعة للراجعين من الحج أن يراقبوا تقوى الله في سائر أحوالهم وأماكنهم، ولا يجعلوا تقواه خاصة بمدة الحج، كما كانت تفعل الجاهلية، فإذا انقضى الحج رجعوا يتقاتلون ويغيرون ويختصمون ويفسدون، ومثل هذا يفعله عصاة المسلمين اليوم بعد حجهم وبعد صومهم رمضان (545).

والحديث في هذا الجانب يطول كثيراً لأن المفسر أراد من كتابه هذا أن يكون إرشاداً للناس وتوجيهاً لهم، وقد وفّى بما عنون به كتابه من سمات إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن" ولعلنا لا نستغرب كثرة النصح والتوجيه في هذا الكتاب لو علمنا أن مؤلفه أراد من كتابه هذا المسلك وهو هداية الناس وتوجيههم لما أراد منهم ربهم وخالقهم، من عبادته لخالقه وقال دون غيره والعبادة لا يقبلها الله إلا خالصة صحيحة كما دل عليه الكتاب العزيز.

روى ابن كثير في تفسيره(546) عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(547) قال في قوله

(544) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 183.

(545) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 365-366.

(546) ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*. ج 1. ص 385.

(547) القرآن. البقرة 2: 111.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ أي أخلص، وفي معنى قوله: ﴿ وَجْهَهُۥ ﴾ أي دينه، ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي: متبع فيه لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإن العمل المتقبل عند الله تعالى له شرطين:

أ- أن يكون خالصاً لله وحده.

ب- أن يكون صواباً موافقاً للشريعة، فمتى كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يتقبل؛ ويستدل لذلك بقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» (548).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

(548) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. صحيح مسلم. كتاب الأقضية. باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور. ج 3. ص 1343. حديث رقم 1718.

الفصل الخامس: عرض وتحليل بعض المآخذ والشبهات حول أبي مزيريق وتفسيره

في هذا الفصل قام الباحث بعرض ودراسة لبعض من القضايا التي أوردها أبو مزيريق في تفسيره، واختار الباحث هذه القضايا لتفرد المفسر برأيه الخاص فيها، أو لكونها من المآخذ التي أخذت عليه لمخالفته ما عليه جمهور المفسرين.

المبحث الأول: موقفه من النسخ في القرآن الكريم

قام الباحث بدراسة موقف أبي مزيريق من النسخ في القرآن الكريم، من خلال تفسيره للآيات المنسوخة في القرآن الكريم، وقد عرف الباحث النسخ لغة واصطلاحاً مبينا مذاهب العلماء فيه، ثم ذكر موقف أبي مزيريق منه وقام بعرض بعض الآيات المنسوخة في كتاب إرشاد الحيران، ليتبين بذلك موقف الشيخ من النسخ.

المطلب الأول: في تعريف النسخ لغة واصطلاحاً

يطلق النسخ عند أهل اللغة بإطلاقين: الأول الإزالة، نسخ الشيء نسخاً أزاله، كقولهم نسخت الريح آثار القوم، ومنه أيضاً قولهم: نسخت الشمس الظل، أي أزالته ونسخ الشيب الشباب، ويقال: نسخ الله الآية أزال حكمها،[549] وفي التنزيل العزيز: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾[550].

(549) إبراهيم مصطفى وآخرون. د ت. *المعجم الوسيط*. د م. دار الدعوة. جـ 2. ص 917.

(550) القرآن. البقرة 2: 105.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية